



بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة علمية بعنوان :

أصول التربية الإسلامية وأساليبها - الجزء 7

إعداد وتقديم : الشيخ المقرئ عبد الله كشكوش المقدسي

إشراف د. هانيبال يوسف حرب

قدمت هذه المحاضرة على التليفرام على : الأكاديمية الأمريكية FG-Group

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :
أخوة الايمان والنور السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .. أرحب بكم جميعاً في فلك العلم والايمان
المشحون الذي سنبحر به الليلة ان شاء الله في بحر من بحور العلم .. فمرحبا بكم جميعاً .. وعلى
بركة الله نسير .. بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ..

نتابع في اصول التربية الاسلامية واساليبها .. ووصلنا الى مبحث اثر الشريعة في تربية الخلق :

المطلب الأول : خلق تأديب الأطفال :

إنّ التربية الخُلقية هي روح التربية الإسلامية وعنايتها بالتربية الخُلقية لا يعني إهمال الجوانب
الأخرى ، فلا بد من العناية بكل ما يتصل بالطفل إذ أنه بحاجة إلى قوه في جسمه وعقله وروحه
وعلمه ، لذا نجد أن الجانب الروحي والعبادي لا ينفصل عن الجانب الخلقى .

إنّ الأخلاق في السنة النبوية لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا رسمت له المنهج الأمثل
للسلوك الرفيع في تناسق وتكامل وبناء .. فالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قد بلغ القمة في
الأخلاق وأفضل طريق للوصول إلى مكارم الأخلاق هو طريق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

والذي خاطبه تعالى بقوله : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (4) سورة القلم .

وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم
الوجود ! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور ، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود ،

وهي شهادة من الله ، في ميزان الله ، لعبد الله ، يقول له فيها : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .. ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين ! ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - تبرز من نواح شتى :

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال ، يسجلها ضمير الكون ، وتثبت في كيانه ، وتتردد في الملاء الأعلى إلى ما شاء الله .

وتبرز من جانب آخر ، من جانب إ طاقة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لتلقيها .. وهو يعلم من ربه هذا ، قائل هذه الكلمة . ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة ، التي يدرك هو منها مالا يدركه أحد من العالمين .

إن إ طاقة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - لتلقي هذه الكلمة ، من هذا المصدر ، وهو ثابت ، لا ينسحق تحت ضغطها الهائل - ولو أنها ثناء - ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب .. تلقيه لها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن .. هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل .

ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة ، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة . وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه . ولكن هذه الكلمة أعظم بدالاتها من كل شيء آخر . أعظم بصورها عن العلي الكبير .

وأعظم بتلقي محمد لها وهو يعلم من هو العلي الكبير ، وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا . لا يتكبر على العباد ، ولا ينتفخ ، ولا يتعاضم ، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير ! والله أعلم حيث يجعل رسالته . وما كان إلا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بعظمة نفسه هذه - من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى . فيكون كفنا لها ، كما يكون صورة حية منها .

إن هذه الرسالة من الكمال والجمال ، والعظمة والشمول ، والصدق والحق ، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء . فتطبيق شخصيته كذلك تلقي هذا الثناء . في تماسك وفي توازن ، وفي طمأنينة .

طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم . ثم يتلقى - بعد ذلك - عتاب ربه له ومواخذته إياه على بعض تصرفاته ، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة .

ويعلم هذه كما يعلن تلك ، لا يكتف من هذه شيئا ولا تلك .. وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم .
والعبد الطائع . والمبلغ الأمين .

إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة . وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة . وإن
الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأبعد من مدى أي مجهر يملكه بشر . وقصارى ما يملكه راصد
لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها . وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد
هذا المسار ! ومرة أخرى أجد نفسي مشدودا للوقوف إلى جوار الدلالة الضخمة لتلقي رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - لهذه الكلمة من ربه ، وهو ثابت راسخ متوازن مطمئن الكيان .. لقد كان - وهو
بشر - يثني على أحد أصحابه ، فيهتز كيان صاحبه هذا وأصحابه من وقع هذا الثناء العظيم . وهو
بشر وصاحبه يعلم أنه بشر . وأصحابه يدركون أنه بشر . إنه نبي نعم . ولكن في الدائرة المعلومة
الحدود . دائرة البشرية ذات الحدود .. فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من الله . وهو يعلم من هو الله . هو
بخاصة يعلم من هو الله ! هو يعلم منه ما لا يعلمه سواه . ثم يصطبر ويتماسك ويتلقى ويسير .. إنه
أمر فوق كل تصور وفوق كل تقدير !!!

إنه محمد - وحده - هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة .. إنه محمد - وحده - هو الذي يبلغ قمة
الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني . إنه محمد - وحده - هو الذي يكافئ هذه
الرسالة الكونية العالمية الإنسانية حتى لتتمثل في شخصه حية ، تمشي على الأرض في إهاب إنسان ..
إنه محمد - وحده الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام . والله أعلم حيث يجعل رسالته - وأعلن في
هذه أنه على خلق عظيم . وأعلن في الأخرى أنه - جل شأنه وتقدس ذاته وصفاته ، يصلي عليه هو
وملائكته { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ } .

وهو - جل شأنه - وحده القادر على أن يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم ..

ثم إن لهذه اللفظة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله وأصالة هذا العنصر في الحقيقة
الإسلامية كأصالة الحقيقة المحمدية .

والناظر في هذه العقيدة ، كالناظر في سيرة رسولها ، يجد العنصر الأخلاقي بارزا أصيلا فيها ، تقوم
عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء .. الدعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطهارة
والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد ، ومطابقة القول للفعل ، ومطابقتها

معا للنية والضمير والنهي عن الجور والظلم والخداع والغش وأكل أموال الناس بالباطل ، والاعتداء على الحرمات والأعراض ، وإشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور .. والتشريعات في هذه العقيدة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور والسلوك ، وفي أعماق الضمير وفي واقع المجتمع . وفي العلاقات الفردية والجماعية والدولية على السواء .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ** » .. فالرسول صلى الله عليه وسلم فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل .

وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم . وتقوم سيرته الشخصية مثالا حيا وصفحة نقية، وصورة رفيعة ، تستحق من الله أن يقول عنها في كتابه الخالد : « **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** » .. فيمجد بهذا الثناء نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - كما يمجد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم ، ويشد به الأرض إلى السماء ، ويعلق به قلوب الراغبين إليه - سبحانه - وهو يدلهم على ما يحب ويرضى من الخلق القويم .

وهذا الاعتبار هو الاعتبار الفذ في أخلاقية الإسلام . فهي أخلاقية لم تنبع من البيئة ، ولا من اعتبارات أرضية إطلاقا وهي لا تستمد ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات العرف أو المصلحة أو الارتباطات التي كانت قائمة في الجيل . إنما تستمد من السماء وتعتمد على السماء . تستمد من هتاف السماء للأرض لكي تتطلع إلى الأفق .

وتستمد من صفات الله المطلقة ليحققها البشر في حدود الطاقة ، كي يحققوا إنسانيتهم العليا ، وكي يصبحوا أهلا لتكريم الله لهم واستخلافهم في الأرض وكي يتأهلوا للحياة الرفيعة الأخرى : « **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ** » .. ومن ثم فهي غير مقيدة ولا محدودة بحدود من أي اعتبارات قائمة في الأرض إنما هي طليقة ترتفع إلى أقصى ما يطيقه البشر ، لأنها تتطلع إلى تحقيق صفات الله الطليقة من كل حد ومن كل قيد .

ثم إنها ليست فضائل مفردة : صدق . وأمانة . وعدل . ورحمة . وبر .. إنما هي منهج متكامل ، تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعا ، وتنتهي في خاتمة المطاف إلى الله . لا إلى أي اعتبار آخر من اعتبارات هذه الحياة ! وقد تمثلت هذه

الأخلاقية الإسلامية بجمالها وتوازنها واستقامتها واطرادها وثباتها في محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وتمثلت في ثناء الله العظيم ، وقوله : **{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } .** وعلم الأخلاق : هو علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبيح .

المطلب الثاني : أنواع الأخلاق النبوية للأطفال :

(1) خلق الحياء :

" إن ما يتوج الأخلاق كلها خلق الحياء ، لأنه من أقوى البواعث على الاتصاف بما هو حسن واجتناب ما هو قبيح وبالتالي فإنه يقود صاحبه إلى أن يسلك مدارج الكمال والفضيلة ، ومن ثم يرقى في أعين الناس ويكسب المثوبة منه تعالى ، والحياء أول قوة يشدد عليها المربون لأنها تدل على العقل ، وعلى أن الولد قد أحسن القبيح ، وبالتالي فإن إحساسه ذلك يجنبه الوقوع في قبيح الفعال والأقوال ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - (دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ) . والحياء ليس هو التغير والانكسار الذي يعتري الإنسان من خوف يندم عليه ، ولكن يتمثل في أمور: حفظ الحواس ، حفظ البطن من الشراهة ، ترك ما حرم الله من زينة الدنيا ، فعن ابن مسعود ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " قَالَ : قُلْنَا : إِنَّا نَسْتَحِي اللَّهَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ ، وَمَا وَعَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ ، وَمَا حَوَى وَلْيَذْكَرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " .

لذا يجب على الآباء والمربين أن يأخذوا أبناءهم بهذا الخلق ، وأن يتخيروا لهم الأصدقاء مما اتصفوا بصفة الحياء والأخلاق الحسنة ، وعلى المربي أن يكون حكيماً ؛ فلا يبالغ في أخذ الناشئين لهذا الخلق إلى حد يصل بهم إلى الخجل وضعف الشخصية ، وإنما حياء يعمل على ارتياد النفس إلى معالي الأمور واقتحام المشاق والجرأة في الحق " .

(2) خلق الصدق والتحرز من الكذب :

الصدق : صدق فلان في الحديث : أخبر بالواقع ..

والكذب : خلاف الصدق ..

" إن الصدق دعامة الفضائل ، ومظهر من مظاهر السلوك النظيف ودليل الكمال وعنوان الرقي ، بالصدق توطد الثقة بين الأفراد والجماعات ، لا يستغني عنه حاكم ولا تاجر ، ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير " .

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (119) سورة التوبة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَرَاقِبُوهُ بَأْدَاءِ فَرَائِضِهِ وَوَأَجْبَاتِهِ ، وَاجْتَنِبِ نَوَاهِيهِ ، وَاصْدُقُوا وَالزَّمُوا الصِّدْقَ تَكُونُوا أَهْلَهُ ، وَتَنْجُوا مِنَ الْمَهَالِكِ ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرْجًا مِنْ أُمُورِكُمْ وَمَخْرَجًا .

والصدق " يوئد في النفوس الطمأنينة والسكينة ، بينما الكذب فإنه يورث القلق والاضطراب "

والصدق يهدي إلى البر والجنة ، فعن عبد الله ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِنَّ الْكُذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا .

" وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر المرابين تعتمد على القدوة الصالحة ، فجدير بكل مرب مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء ، أو ترغيبهم في أمر أو تسكيتهم من غضب ، فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عودوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات ، وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب " .

وعلينا أن نغرس فيهم أنه لا يوجد كذبة بيضاء وكذبة نيسان ، فالكذب هو الكذب ، إلا في ثلاثة حالات معينة قد نصَّ عليها الشرع ، فعن أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لا يَحِلُّ الْكُذْبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : الرَّجُلُ يَكْذِبُ امْرَأَتَهُ يُرْضِيهَا بِذَلِكَ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : الْحَرْبُ خُدْعَةٌ ، وَالرَّجُلُ يَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمَا .

قال الشيخ : هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصدق طلباً للسلامة ودفعاً للضرر عن نفسه ، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الفساد لما يؤمل فيه من الصلاح .

والكذب في الإصلاح بين اثنين هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيراً أو يبلغه جميلاً وإن لم يكن سمعه منه ولا كان إذناً له فيه يريد بذلك الإصلاح . والكذب في الحرب هو أن يظهر من نفسه قوة ويتحدث بما يشدذ به بصيرة أصحابه ويقوي منتهم ويكيد به عدوهم في نحو ذلك من الأمور .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحرب خدعة وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كثيراً ما يقول في حروبه صدق الله ورسوله فيتوهم أصحابه أنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يقول إنما أنا رجل محارب .

فأما كذب الرجل زوجته فهو أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه يستديم بذلك محبتها ويستصلح به خلقها .

وَمِنْهُ : الْكُذْبُ لِدَفْعِ ظَالِمٍ عَلَى مَالٍ لَهُ أَوْ لِعَيْرِهِ أَوْ عَرَضٍ ، وَفِي سِتْرِ مَعْصِيَةِ مَنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ . وَقَدْ نُقِلَ عَنِ النَّوَوِيِّ : الظَّاهِرُ إِبَاحَةَ حَقِيقَةِ الْكُذْبِ فِي الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ ، وَلَكِنَّ التَّعْرِيفَ أَوْلَى .

لماذا يكذب الأطفال ؟ :

- قد يكذب الطفل تحدياً لوالديه اللذين يعاقبانه بشدة ، فهو يكذب هرباً من العقاب .

- وقد يكذب مازحاً مع أصدقائه بُغية الفكاهة .

- وقد يكذب الطفل الذي يشعر بالنقص لكي يستدرّ عطف المحيطين به .

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِكَ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَلَامَةَ وَالتَّعْذِيبَ ، بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، إِذْ تَحَلَّوْا عَنْكَ حِينَ اشْتِدَادِ الْحَرْبِ ، وَشَمَّرُوا لِلْهَزِيمَةِ وَالْحَرْبِ قَانِمَةً ، وَمَعَ ذَلِكَ لِنْتَ لَهُمْ ، وَعَامَلْتَهُمْ بِالْحُسْنَى ، لِرَحْمَةِ أُوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِكَ ، وَخَصَّكَ بِهَا . وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ . ثُمَّ قَالَ لَوْ كُنْتَ حَسَنًا جَافِيًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ ، وَلَنَفَرُوا مِنْكَ ، وَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ ، وَالْآنَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأْلَفًا لِقُلُوبِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ ، وَأَنْ يَسْتَعْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ ، وَأَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَشَحْذًا لَهُمِهِمْ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ . فَإِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَعَزَمْتَ عَلَى انْفَادِهِ ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِيهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَيَتَّقُ بِنَصْرِهِ .

" إن المتواضعين هم أهل الله والمتكبرين ليس لهم من بره حظ ولا نصيب ، لأن الكبرياء صفة مختصة بالله وحده " .

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ ، وَمَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ لَيْسَ عَلَيْهِ بَابٌ وَلَا كُوَّةٌ ، لَخَرَجَ مَا غَيَّبَهُ لِلنَّاسِ كَانِنًا مَا كَانَ) .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يُرِيدُ بِهِ مَنْ تَوَاضَعَ لِلْمَخْلُوقِينَ فِي اللَّهِ ، فَأَضْمَرَ الْخَلْقَ فِيهِ ، وَقَوْلُهُ : وَمَنْ يَتَكَبَّرُ أَرَادَ بِهِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ فَأَضْمَرَ الْخَلْقَ فِيهِ إِذِ الْمُتَكَبَّرُ عَلَى اللَّهِ كَافِرٌ بِهِ) .

قال أبو عثمان سعيد بن عثمان : سمعتُ ذا النون بن إبراهيم ، وسأله رجلٌ : مَنْ أَرَادَ التَّوَضُّعَ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَفْهَمَ مَا أُلْقِيَ إِلَيْكَ رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَنْ أَرَادَ التَّوَضُّعَ فَلْيُوجِّهْ نَفْسَهُ إِلَى عَظَمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّهَا تَذُوبٌ وَتَصَغُرٌ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى سُلْطَانِ اللَّهِ ذَهَبَ سُلْطَانُ نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ كُلَّهَا حَقِيرَةٌ عِنْدَ هَيْبَتِهِ ، وَمَنْ أَشْرَفَ التَّوَضُّعُ أَنْ لَا يَنْظُرَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ دُونَ اللَّهِ ، وَمَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ " ، يَقُولُ : مَنْ تَدَلَّلَ بِالْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ ، يَعْنِي بِالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ " .

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ حِكْمَتَهُ ، وَقَالَ : انْتَعِشْ نَعَشَكَ اللَّهُ ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ وَفِي أَنْفُسِ النَّاسِ كَبِيرٌ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَعَظَّمَ وَعَدَا طَوْرَهُ وَهَصَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ أَحْسَأَ حَسَاكَ اللَّهُ ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ وَفِي أَنْفُسِ النَّاسِ صَغِيرٌ حَتَّى لَهْوَ أَحْقَرُ عِنْدَهُ مِنْ خِنْزِيرٍ .

وعن الحسن ، قال : عادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ مَعْقِلٌ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ بِهِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ .

" من ذلك يظهر حرص الإسلام على هذا الخلق لأن فقدانه يهدم أواصر المجتمع ويذهب بقيمه هباءً ،
ويصبح أفراده كائنات غادرة لا تقوم بمسئولية ، ولا ترعى عهداً ولا ذمة .
فمن الواجب ترسيخ هذا الخلق الأصيل منذ الطفولة كي ينمو في داخل الفرد ويتزعرع ، ليصبح أميناً
بناءً في حياته ، يحمل الخير لنفسه وأهله والناس أجمعين " .

(4) خلق حفظ السر :

" لقد عني رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بحفظ السر لدى الأطفال ، لأن هذا الخلق يسهم في
تكوين إرادة الطفل الواعية الفاعلة ، لأن الطفل يريد أن يتكلم بما يملك من معارف أو معلومات ،
فعندما تدربه على حفظ السر فإنه يتدرب على بذل جهد نفسي مخالف لطبائع الطفولة الفطرية ، فإذا
نما [جعل] حفظ السر فيه ، وإن عدداً من الصفات والسجايا تنمو مع هذا الخلق مثل قوة الإرادة
وانضباط اللسان ورباطه الجأش ، مما يتسبب في غرس الثقة الاجتماعية ونمو بذرة القوة في نفس
الناشئة " .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : أَنْتَهَى إِلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا فِي غِلْمَانٍ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ،
ثُمَّ أَخَذَ بِيَدَيْ ، فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ ، أَوْ فِي جِدَارٍ ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ أُمَّ
سَلِيمٍ ، قَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةٍ ، قَالَتْ :
وَمَا هِيَ ؟ قُلْتُ : إِنَّهَا سِرٌّ ، قَالَتْ : احْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ بَعْدَ
أَحَدًا قَطُّ .

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ ، قَالَ : دَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ أُمَّ
سَلَمَةَ ، فَقَالُوا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثِينَا عَنْ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . قَالَتْ : كَانَ
سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ سَوَاءً ، ثُمَّ نَدِمْتُ ، فَقُلْتُ : أَفْشَيْتُ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . قَالَتْ :
فَلَمَّا دَخَلَ أَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتِ .

وَعَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : تَأَيَّمْتُ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ
السَّهْمِيِّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَتُوِّفِيَ بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ عُمَرُ :
فَلَقِيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ ، فَقَالَ :

سَأَنْظُرُ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : فَلَبِثْتُ لَيْالِي ، فَلَقَيْتَنِي ، فَقَالَ : مَا أُرِيدُ النِّكَاحَ يَوْمِي هَذَا ، قَالَ عُمَرُ : فَلَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، قَالَ : فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ، فَكُنْتُ أَوْجَدُ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عَثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي ، فَخَطَبَهَا إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَكَحُّنُهَا إِلَيْهِ ، فَلَقَيْتَنِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا لَمَّا عَرَضْتَ عَلَيَّ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُهَا ، وَلَمْ أَكُنْ أَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَنَكَحْتُهَا .

(5) العفو والتواضع :

" إن الأخلاق الإسلامية شملت كل مناحي الحياة وما من خلق إلا يسهم في بناء المجتمع في جانب من جوانب الحياة ، فإذا ما تمسك الأفراد والمجتمع بأخلاق الإسلام؛ أصبح قوياً تسوده الأخوة .

وخلق العفو والتواضع والتسامح واحد من هذه الركائز التي إذا ما اعتمد عليها انتصر المرء بها على أهوائه ونزواته ، ونمت فيه نوازع الرحمة والخير والصفح والمغفرة " .

إن العفو من الآداب التي اتصف بها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال تعالى : **{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }** (159) سورة آل عمران .

- وقد يدعي أنه مريض ، لأنه لا يريد الذهاب إلى المدرسة وغير ذلك .

ولكي نُخَلِّصَ الأبناء من عادات الكذب :

" - نحدثه عن الصدق وأهميته دون إكراه أو ضغط ، نشعره بالعطف والمحبة ونشجع فيه الثقة بالنفس ونُبصِّره بأهمية الأمانة والصدق فيما يقوله ويفعله ونذكر له أحاديث الرسول - صلى الله عليه وآله عليه وسلم - التي تحت على الصدق ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، أَنَّهُ قَالَ : دَعَانِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا ، فَقَالَتْ : هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ ؟ قَالَتْ : تَمْرًا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ .

وَعَنْ قَيْسٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : **إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبُ الْإِيمَانِ .**

- ومن أخطر الأمور أن يعترف الطفل بخطئه ثم يعاقبه بعد اعترافه فكأننا نعاقبه على الصدق ، وندفع الطفل دفعاً إلى الكذب " .

(6) الأمانة والاحتراز من الخيانة :

الأمانة : الوفاء .

" كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الإنسان ومستقر أساس الحكومات وروح العدالة وحدها وهي أحد عناصر تكامل الشخصية "

قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** } (58) سورة النساء .

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ : مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ..) وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ (كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْتَمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بِيَدِ أَصْحَابِهَا وَثَاقٍ وَبَيِّنَاتٍ عَلَيْهَا) .. هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ حِجَابَةُ الْكَعْبَةِ . وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَافَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْكَعْبَةِ ، ثُمَّ دَعَا بِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ مُفْتَاخَ الْكَعْبَةِ وَدَخَلَهَا . فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ (وَقِيلَ بَلْ جَاءَهُ عَلِيٌّ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْمَعْ لَنَا حِجَابَةَ الْكَعْبَةِ مَعَ السَّقَايَةِ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ بِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ ، وَخَرَجَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ . وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ ، وَأَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ عَامًا لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَلِكُلِّ أَحَدٍ ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَهُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ حِقْدٌ أَوْ كَرَاهِيَّةٌ أَوْ عَدَاوَةٌ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَىٰ إِنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ ، وَيَعْظُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ الشَّرْعُ الْكَامِلُ ، وَفِيهِ خَيْرُهُمْ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ ، بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ ، فَيَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ .

- ومن مجالات الأمانة :

1) والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى .. الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها « الإنسان » .. أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه . فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة . فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمان به ، والاهتداء إليه ، ومعرفته ، وعبادته ، وطاعته . وألزمه طاعة ناموسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه . والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته ، وإلى عقله ، وإلى معرفته ، وإلى إرادته ، وإلى اتجاهه ، وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله ، بعون من الله : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا » .. وهذه أمانة حملها وعليه أن يؤديها أول ما يؤدي من الأمانات .

ومن هذه الأمانة الكبرى ، تنبثق سائر الأمانات ، التي يأمر الله أن تؤدي :
ومن هذه الأمانات : أمانة الشهادة لهذا الدين .. الشهادة له في النفس أولا بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة له . ترجمة حية في شعورها وسلوكها . حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس .
فيقولوا :

ما أطيب هذا الإيمان وأحسنه وأزكاه وهو يصوغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال!
فتكون هذه شهادة لهذا الدين في النفس يتأثر بها الآخرون .. والشهادة له بدعوة الناس إليه ، وبيان فضله ومزيته - بعد تمثل هذا الفضل وهذه المزية في نفس الداعية - فما يكفي أن يؤدي المؤمن الشهادة للإيمان في ذات نفسه ، إذا هو لم يدع إليها الناس كذلك ، وما يكون قد أدى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان . وهي إحدى الأمانات ..

ثم الشهادة لهذا الدين بمحاولة إقراره في الأرض منهجا للجماعة المؤمنة ومنهجا للبشرية جميعا .. المحاولة بكل ما يملك الفرد من وسيلة ، وبكل ما تملك الجماعة من وسيلة . فإقرار هذا المنهج في حياة البشر هو كبرى الأمانات بعد الإيمان الذاتي . ولا يعفى من هذه الأمانة الأخيرة فرد ولا جماعة ..
ومن ثم في « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » على هذا الأساس .. أداء لإحدى الأمانات .

ومن هذه الأمانات - الداخلة في ثنايا ما سبق - أمانة التعامل مع الناس ورد أماناتهم إليهم : أمانة المعاملات والودائع المادية . وأمانة النصيحة للراعي وللرعية . وأمانة القيام على الأطفال الناشئة . وأمانة المحافظة على حرمة الجماعة وأموالها وثغراتها .. وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من

الواجبات والتكاليف في كل مجالي الحياة على وجه الإجمال .. فهذه من الأمانات التي يأمر الله أن تؤدي ويجملها النص هذا الإجمال ..

فأما الحكم بالعدل بين « الناس » فالنص يطلقه هكذا عدلا شاملا « بين الناس » جميعا . لا عدلا بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب . ولا عدلا مع أهل الكتاب ، دون سائر الناس .. وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه « إنسانا » . فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني . وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعا : مؤمنين وكفاراً . أصدقاء وأعداء . سودا وبيضا . عربا وعجما . والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت في أمرهم - هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط - في هذه الصورة - إلا على يد الإسلام ، وإلا في حكم المسلمين ، وإلا في عهد القيادة الإسلامية للبشرية .. والذي افتقدته من قبل ومن بعد هذه القيادة فلم تذق له طعما قط ، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعا .

لأنهم « ناس » ! لا لأية صفة أخرى زائدة عن هذا الأصل الذي يشترك فيه « الناس » ! وذلك هو أساس الحكم في الإسلام كما أن الأمانة - بكل مدلولاتها - هي أساس الحياة في المجتمع الإسلامي . والتعقيب على الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل هو التذكير بأنه من وعظ الله - سبحانه - وتوجيهه . ونعم ما يعظ الله به ويوجه : (إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ) .

ونقف لحظة أمام التعبير من ناحية أسلوب الأداء فيه . فالأصل في تركيب الجملة: إنه نعم ما يعظكم الله به .. ولكن التعبير يقدم لفظ الجلالة ، فيجعله « اسم إن » ويجعل نعم ما « نعما » ومتعلقاتها ، في مكان « خبر إن » بعد حذف الخبر .. ذلك ليوحي بشدة الصلة بين الله - سبحانه - وهذا الذي يعظهم به ..

ثم إنها لم تكن « عظة » إنما كانت « أمرا » .. ولكن التعبير يسميه عظة . لأن العظة أبلغ إلى القلب، وأسرع إلى الوجدان ، وأقرب إلى التنفيذ المنبعث عن التطوع والرغبة والحياء ! ثم يجيء التعقيب الأخير في الآية يعلق الأمر بالله ومراقبته وخشيته ورجائه : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

والتناسق بين الأمور به من التكاليف وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس وبين كون الله سبحانه « سميعا بصيرا » مناسبة واضحة ولطيفة معا .. فالله يسمع ويبصر ، قضايا العدل وقضايا الأمانة . والعدل كذلك في حاجة إلى الاستماع البصير وإلى حسن التقدير ، وإلى مراعاة الملابسات

والظواهر ، وإلى التعمق فيما وراء الملابس والظواهر . وأخيرا فإن الأمر بهما يصدر عن السميع البصير بكل الأمور .

(2) أمانة إحسان معاملة أفراد الأمة : كأن تكون أمانة على الودائع المستودعة لديك من الأموال أو حفظ أسرار المجتمع فلا تهتك ستره ولا تفضي سره ، وبالتالي في غرس هذا الخلق في أولادنا لا يخرج جيل به عملاء خائنين لوطنهم ولدينهم .

(3) أمانة المنصب : فإسناد المناصب العامة يجب أن يكون إلى الأقوياء ، والأكفاء المخلصين . وجميع الحقوق المشروعة للحكومة أمانة في عنق الحاكم وهو مسؤول عن حمايتها وتمكينهم منها ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : **كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ : فَالْأَمِيرُ رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ .**

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ .**

وعن الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : **كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ : إِنِّي لَأَحْيَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَنَسُ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ ، فَلَمَّ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ ، قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ**

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ : " يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَتْ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَوْيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ ، فَأَقْتَدَيْ بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ . قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَشًّا ، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ " .

" فعلينا تنظيف الصدر من الأحقاد لأن الحقد يعني دوام العداوة بين الناس وهذا يخالف هدى الإسلام .
والتواضع يُجَدِّرُ خلق الحب والود والتراحم " .

هكذا احببتنا وصلنا الى نهاية نقطة (نظرة الاسلام الى الحياة) والاثار التربوية المتعلقة بها .. ونتابع ان شاء الله تعالى في المحاضرة القادمة .. اثر الشريعة في تربية الخلق .. وما الاثار التربوية التي تترتب على ذلك ..

نلتقاكم ان شاء الله تعالى في محاضرات قادمة .. استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ..
وسلام الرب عليكم .. طهرا و قدسا ونورا .. ورحمته صلى الله عليه حبا ونورا ساريا فينا ازلا وأبداً ..
وبركاته المتجلية علينا وعلى من سار على دربه الى اليوم الدين .